المؤتمر العالمي السادس
لبديع الزمان سعيد النورسي

العولمة والأخلاق

في ضوء رسائل النور

(البحوث العربية)

ISBN: 975-6438-14-2
Publication: Söz Basım
Year: 2002, İstanbul

الأخلاق الإسلامية
في رسائل النور

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت(*)

وهو دراسة عن الأخلاق في محورين:

الأول: مفهوم الأخلاق وأهميته في الإسلام خلال رسائل النور.

الآخر: التربية الأخلاقية في القرآن الكريم والسنة النبوية خلال رسائل النور.

إن دراسة رسائل النور تكشف عن احتفائها بالأخلاق وحفولها بهذه القيم النبيلة، ولا جرم فإن تراث الشيخ بديع الزمان النورسي زاخر بهذا الجانب، ومعروف أن مشروع الإصلاح والتغيير عند الشيخ سعيد النورسي سلك طريقين في حياته[1] ، أعان الله على تحقيق الأول، وهي رسائله التي وصلت اليوم بحمد الله إلى القاصي والداني من المسلمين، وبلغات مختلفة[2]، بعد أن كانت محاصرة لا يجد ضوء أشعتها ثغرة في سماء، سحابها كثيف، وغيومها ملبدة، لكنها اليوم كالشمس في رابعة النهار ظهوراً وبياناً، وكالسلسال الرقراق يبعث الحياة في الأرض الخصبة الطيبة. وعسى أن يتحقق حلمه في واقع الحياة في الطريق الآخر بمشروع الجامعة الإسلامية الزاهرة[3].

المحور الأول: مفهوم الأخلاق وأهميته في الإسلام خلال رسائل النور

قبل دراسة الأخلاق في رسائل النور نتبين مكانة الأخلاق في الإسلام، فلا ينبغي أن تفهم الأخلاق على أنها طرف أو جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، بل هي جوهر الإسلام وروحه، وهدفه وغايته، وهي البعد الحقيقي المهيمن عليه الساري في جميع جوانبه.

(*) جامعة كبانغ سآن – ماليزيا

ويقسم بعضهم الإسلام إلى عقيدة وشريعة وأخلاق، ويجعل قواعد الدين في العقيدة والأخلاق والمعاملات، لكن العلاقة بين الدين والأخلاق علاقة ارتباط وتلازم عضوية، وهما حقيقتان لا تنفصلان، والصلة بينهما تصل إلى درجة التوحد لأن الأخلاق مستمدة من العقيدة وتقوم على قاعدة التقوى[4]. بل يجعل أحد الدارسين الأخلاق من أسس الإيمان، والإيمان من أسس الأخلاق[5].

وقد وضح الرسول (صلى الله عليه وسلم) العلاقة بين الإسلام والخلق فقال: الدين (الإسلام) حسن الخلق[6]، وهو غاية الإسلام "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[7]، والأخلاق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان "إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[8]، ولا يقبل الإيمان المجرد من الخلق "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"[9]، وهو مما يثقل الميزان بالحسنات يوم القيامة "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق"[10]، وهو مما يدخل الناس الجنة، سئل (صلى الله عليه وسلم) عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق"[11]، بل يقرب حسن الخلق من مجلس الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة: " إن من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"[12]، وهكذا يمكن القول أن الأخلاق ثمرة للإيمان والاعتقاد الصحيح.

ويمكن أن تعد الأخلاقية واحدة من الخصائص المميزة للإسلام مع الربانية والعالمية والإنسانية والوسطية والتكامل والتسامح والتنوع.[13] ولا يعترف الإسلام بتجزئة الأخلاق أو الفصل بين الناس، فالحلال والخير للجميع وكذلك الحرام والشر. ولا يعترف الإسلام بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، فالله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.[14]

والهدف من العبادات تحقيق الأخلاق الفاضلة فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"[15]، وفي الصوم تصوم الجوارح عن المنكرات "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[16]، والزكاة "صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"[17]، والحج لا "رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج"[18].

يؤكد الإمام النورسي أهمية الأخلاق بارتباطها بالإيمان، فيرى أن "الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية التخلق بالأخلاق الإلهية أي التحلي بالسجايا السامية، والخصال الحميدة التي يأمر بها الله سبحانه"[19]، ويوضح المعنى مرة أخرى فيقول: " أي كونوا عباد الله المخلصين متحلين بأخلاق الله محتمين بحماه معترفين بقرارة

أنفسكم بعجزكم وفقركم وقصوركم"[20]. ويحسن التعبير في أسلوبه البليغ عن المسلم المؤمن الممتثل للأوامر القرآنية فيجعله ثمرة مباركة لشجرة الكون يقول: " أما إذا ربّى الإنسان بذرةَ استعداده وسقاها بماءِ الإسلام، وغذّاها بضياءِ الإيمان تحت تراب العبودية موجهاً أجهزتَها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلابد أنها ستنشقّ عن أوراقٍ وبراعم وأغصانٍ تمتدّ فروعُها وتتفتّح أزاهيرُها... فيصبح الإنسان بذرةً قيّمةً حاوية علىٰ أجهزة جامعةً لحقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلةً نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرةً مباركة منورة لشجرة الكون[21].

ويستنتج أهمية الأخلاق للإنسان من بعض الأمور فمن ذلك:

خلق الله الإنسان على صورة الرحمن، فهذا يعني السيرة والأخلاق[22].

2- حب الله للرسول صلى الله عليه وسلم لأخلاقه،وتأتي هذه المحبة ضمن محبة الله لجماله، ولصنعته، وأخلاق مخلوقاته يقول: "وإنه سبحانه لحبه أخلاق مخلوقاته يحب محمداً صلى الله عليه وسلم، إذ هو في ذروة الأخلاق الحميدة، كما اتفق عليها الأولياء والأعداء، ويحب كذلك من يتشبهون به في الأخلاق، كل حسب درجته...هو مقام خصّ بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولأجله منح اسم "حبيب الله".[23]

فما هي الأخلاق المهمة للمسلم؟

إذا بحثنا عن الأجود والأفضل في الأخلاق، ومن الصعب أن نفاضل بينها فيمكن الاهتداء للأفضل حيث يرى أن التقوى أساس الأخلاق في هذا الوقت، يقول: ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار- الأخلاقي والروحي - وبإثارة هوى النفس الأمارة، وبإطلاق الشهوات من عقالها...تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً بل ركيزة الأسس، وتكسب أفضلية عظيمة حيث أنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت[24]. ويؤكد هذا المعنى لطلاب النور بالتسلح بالتقوى فيقول: إن أهم وظيفة تقع على عاتق طلاب النور خدام القرآن الكريم، في هذا الوقت هي: اتخاذ التقوى أساساً في الأعمال كلها، ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم والآثام المحيطة بهم، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة، فالتقوى هي التي تجعل- دون ريب - الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة، وذلك باجتنابه تلك المحرمات[25]. وقد ذكر في

تفسير قوله تعالى:" لعلكم تتقون" إن حكمة خلق البشر هي التقوى.. وكذا رمز إلى أن نتيجة العبادة مرتبة التقوى.. وكذلك إيماء إلى أن التقوى أكبر المرات[26]. ثم ذكر مراتب التقوى، وهي: التقوى عن الشرك، ثم التقوى عن الكبائر، ثم التقوى بحفظ القلب عما سواه تعالى، وكذا التقوى بالتجنب عن العقاب، وأيضاً التقوى بالتحرز عن الغضب.[27]

ويتفق معه الدكتور درّاز في أهمية التقوى إذ يراها الفضيلة الأم التي تتكاتف فيها كل الوصايا، فهي العدل والرحمة، وتتواثق في الشريعة جميع العناصر الفردية والاجتماعية والإنسانية والإلهية على نحو متين[28].

وهو يحدد الفروق والخطوط الفاصلة بين بعض الأخلاق المتقاربة، فعزة النفس عند القوي تكبّر، والتواضع غير التذلل والوقار غير التكبّر، يقول: " إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي، لو كانت في القوي لكانت تكبّراً، وكذا التواضع الذي يشعر به.

القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذللاً. ومثلاً: إن جدّية ولي الأمر في مقامه وقارٌ، بينما لينُه ذلة. كما أن جديّته في بيته دليل على التكبر، ولينه دليل على التواضع.[29]

هناك بون شاسع وفرق هائل بين الاقتصاد والخسة، إذ كما أن التواضع الذي هو من الأخلاق المحمودة يخالف معنىً التذللَ الذي هو من الأخلاق المذمومة مع أنه يشابهه صورة. وكما أن الوقار الذي هو من الخصال الحميدة يخالف معنىً التكبّر الذي هو من الأخلاق السيئة مع أنه يشابهه صورة. فكذا الحال في الاقتصاد الذي هو من الأخلاق النبوية السامية بل هو من المحاور التي يدور عليها نظام الحكمة الإلهية المهيمن على الكون، لا علاقة له أبداً بالخسة التي هي مزيج من السفالة والبخل والجشع والحرص. بل ليست هناك من رابطة بينهما قطعاً، إلاّ ذلك التشابه الظاهري.[30]

ويضرب لذلك مثلاً بقصة ابن عمر في موقفين مختلفين: تعامله في السوق على شيء لا يساوي قرشاً واحداً، وإغداقه على فقيرين بقطعتي ذهب عند باب داره. وحين سئل عن ذلك بين أن ما كان منه في السوق من الاقتصاد والحصافة، وليس بخسة أو بخل، وما كان منه مع الفقيرين من الرأفة والرقة وسمو الروح.

ويدرك كذلك نسبية الأخلاق، فالشجاعة والسخاء إذا كانتا محمودتين في الرجال فليستا كذلك عند النساء، يقول: إن الفضائل والأخلاق، وكذا الحسن والخير، أغلبها أمور نسبية، تتغير كلما عبرت من نوع إلى آخر، وتتباين كلما نـــزلت من صنف إلى صنف، وتختلف كلما بدّلت مكاناً بمكان، وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد إلى الجماعة ومن الشخص إلى الأمة، فمثلاً: الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه إلى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة إلى النشوز والوقاحة وخرق حقوق الزوج[31].

ولكن يبقى جمال المرأة في الأخلاق، فيحذر من ارتباط المحبة بالجمال الظاهري السريع الزوال، ويؤكد أهمية ارتباط المحبة بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً، "وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقّتها. وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحُسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر. وبمحبتهما تُصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلاّ تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري"[32].

وينبه إلى أن الأخلاق ليست فطريةً فقط بل هي كسبية أيضاً ويقرر أن نمو الأخلاق يكون بالمجاهدة، يقول: " فإذن نشوء الحسيات العالية ونمو الأخلاق إنما هو بالمجاهدة، وتكامل الأشياء إنما هو بمقابلة الأضداد ومزاحمتها"[33]

ويتفق معه الدارسون على إمكانية كسب الأخلاق وتقويمها بوسائل كثيرة، منها تعميق معاني العقيدة في النفس، وتزكية النفس بالعبادات، والتوبة والمحاسبة اليومية، وزرع الخلق الحسن بالتكلف[34].

لكن الشيخ سعيد النورسي وجد في محنة السجن التي ابتلي بها منحةً حيث يرى السجن مدرسة يوسفية تربوية تنمي الأخلاق، حقاً إن السجن مدرسة تربوية لتقويم الأخلاق. فليشاهد مسؤولو السجن ومن يتولون أمره، أنّ من ظنوهم مجرمين قتلة، وحسبوهم سفهاء مخلين بالنظام، قد أصبحوا طلاب مدرسة تربوية مباركة يتعلمون فيها الأدب الجميل والخلق القويم[35].

ويقرر كذلك كسب الأخلاق من بعضنا البعض لعل الله سبحانه يجعلنا ممن يغرسون في هذا السجن الغراس لتخرج منه أشجار مثمرة نافعة. ونسعى جاهدين ليكون مسؤولو

السجن أساتذة مرشدين يهيئون في هذه المدرسة اليوسفية رجالاً إلى الجنة، ومشرفين طيبين يتولون حسن توجيههم، وليسوا زبانية عذاب على جناة قتلة[36].

ويقرر تلاميذه استفادتهم الأخلاق من رسائل النور، لأنها تعلم الأخلاق القرآنية، يقول أحدهم: إن قيامه منذ ما يقرب من خمس وعشرين سنة بمحاولة إنقاذ إيمان مئات الآلاف من الناس برسائل النور، ولاسيما من أمثالي من المساكين الذين لم نكن نعرف شيئاً عن الإسلام وإعطاءنا دروساً في الإيمان الذي هو السعادة القصوى والغاية من الحياة يعد دون شك فضلاً إلهياً.[37]

وتلاميذه وإن لم يكونوا بمستوى أخلاقي واحد، لكنهم تميزوا بها، وكانت مقاومتهم للتخريبات عملاً خارقاً. "وذلك لأن معاول الهدم ومطارق التخريب منذ عشرين عاماً مقترفةً أشد أنواع الظلم وأقسى ضروب التعسف لإفساد الأخلاق.." [38].

وهذه الرسائل في الذروة تعليماً للأخلاق والفضيلة، فالرسائل القرآنية أينما حلت قاومت الدمار، وحالت دون تهدم هذا الأساس الاجتماعي المتين بل حاولت تعميره.

ويرى الفساد الأخلاقي كبيراً أبشع من فساد يأجوج مأجوج قد دب في العالم وأحاط بظلمات الإرهاب والفوضى وعمت الحياة والأخلاق مظالم شنيعة وإلحاد شنيع.

وهي كذلك تعارض السقوط الأخلاقي، ولذلك تعتمد على الأمثال والنصائح الأخلاقية...كما أن معظم رسائل النور كتبت لتوضيح الحقائق الدينية والإيمانية، وحول عقائد الإيمان بالله وبرسوله واليوم الآخر. ولكي تتوضح هذه الحقائق بشكل أفضل انتهجت رسائل النور أسلوب ضرب الأمثال وإيراد القصص، وقدمت رأيها العلمي وإرشاداتها ونصائحها الأخلاقية ضمن مناقب حميدة وتجارب في الحياة وقصص ذات عبر، ولا تحتوي هذه الرسائل على أي شئ يمكن أن يمس الحكومة أو المراجع الرسمية[39].

ورسائله تحارب الفلسفة المُضرة، وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهّد السبل للرقي الصناعي، هي في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم، بل هي خادمة لحكمة القرآن، ولا تعارضها، ولا يسعها ذلك؛ لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.[40]

ويدرس أسباب تدهور الأخلاق ويرى أن سبب تردي الأخلاق في كلمتين:

إذا شبعت فلا عليّ أن مات غيري جوعاً.
اكتسب واتعب أنت لآكل وأستريح أنا.

ويديم هاتين الصفتين جريان الربا وعدم الزكاة، و يجد الدواء لهذا المرض بتطبيق الزكاة وتحريم الربا. ويبين أهمية الزكاة الحقيقية "إنها ركن مهم في بناء سعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعاً، بل هي عمود أصيل تتوطد به إدامة الحياة الحقيقية للإنسانية، ذلك لأن في البشرية طبقتين: الخواص والعوام. والزكاة تؤمّن الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص. وإلا ستنهال مطارق الظلم والتسلط على هامات العوام من أولئك الخواص، وينبعث الحقد والعصيان اللذان يضطرمان في أفئدة العوام تجاه الأغنياء الموسرين. وتظل هاتان الطبقتان من الناس في صراع معنوي مستديم، وتخوضان غمار معمعة الاختلافات المتناقضة، حتى يؤول الأمر تدريجياً إلى الشروع في الاشتباك الفعلي والمجابهة حول العمل ورأس المال كما حدث في روسيا"[41].

ويضرب مثلاً لمن سقطت أخلاقهم بمدينة عظيمة فيها قصور، فيدخل إلى أحد القصور فإذا صاحبه واقفٌ أمام الباب وهو يداعب كلبه ويلاعبه، والنساء يرقصن مع الشباب الغرباء؛ وكانت الفتيات اليافعات ينظّمن ألعابَ الأطفال. وبوّاب القصر قد اتخذ طورَ المشرف يقودُ هذا الحشد، فأدركت أن هذا القصر خالٍ من أهله وأنه قد عُطلّت فيه الوظائف والواجبات. فهؤلاء السارحون من ذويه السادرون في غيّهم قد سقطت أخلاقهم وماتت ضمائرهم وفرغت عقولُهم وقلوبُهم فأصبحوا كالبهائم يهيمون على وجوههم ويلعبون أمام القصر. ثم مشيتُ قليلاً فـفاجأني قصرٌ آخر، ورأيت كلباً نائماً أمام بابه؛ ومعه بوّاب شهمٌ وقور هادئ، وليس أمام القصر ما يثير الانتباه؛ فتعجبت من هذا الهدوء والسكينة واستغربت! واستفسرتُ عن السبب، فدخلت القصرَ فوجدته عامراً بأهله؛ فهناك الوظائف المتباينة والواجبات المهمة الدقيقة ينجزها أهلُ القصر، كلٌّ في طابقه المخصص له؛ في جوّ من البهاء والهناء والصفاء بحيث يبعث في الفؤاد الفرحة والبهجة والسعادة. ففي الطابق الأول هناك رجالٌ يقومون بإدارة القصر وتدبير شؤونه، وفي طابقٍ أعلى هناك البناتُ والأولاد يتعلمون ويتدارسون؛ وفي الطابق الثالث السيداتُ يقمن بأعمال الخياطة والتطريز ونسج الزخارف الملونة والنقوش الجميلة على أنواع

الملابس، أما الطابق الأخير فهناك صاحبُ القصر يتصل هاتفياً بالملكِ لتأمين الراحةِ والسلامةِ والحياة الحرّة العزيزة المرضية لأهل القصر، كلٌّ يمارس أعماله حسب اختصاصه وينجز وظائفه اللائقة بمكانته الملائمة بكماله ومنـــزلته. ونظراً لكوني محجوباً عنهم فلم يمنعني أحدٌ من التجوّل في أنحاء القصر؛ لذا استطلعت الأمور بحرّية تامة. ثم غادرتُ القصر وتجولت في المدينة فرأيتُ أنها منقسمةٌ إلى هذين النوعين من القصور والبنايات، فسألت عن سبب ذلك أيضاً فقيل لي: "إن النوع الأول من القصور الخاليةِ من أهلها والمبهرجِ خارجُها والمزينةِ سطوحُها وأفنيتُها ما هي إلاّ مأوى أئمة الكفر والضلالة. أما النوع الثاني من القصور فهي مساكن أكابر المؤمنين من ذوي الغيرة والشهامة والنخوة". ثم رأيت أن قصراً في زاوية من زوايا المدينة مكتوبٌ عليه اسم (سعيد) فتعجبت، وعندما أمعنت النظر أبصرت كأن صورتي قد تراءت لي، فصرختُ من دهشتي واسترجعت عقلي وأفقتُ من خيالي[42].

المحور الثاني: التربية الأخلاقية في القرآن الكريم والسنة النبوية خلال رسائل النور.

يركز الإمام النورسي على القرآن الكريم في منطلقاته الفكرية وتصوراته النظرية، وهو يتلمس التربية الأخلاقية في القرآن الكريم.

يرى أن القرآن المعجز قد جمع أموراً كثيرة، منها أفراد محاسن الأخلاق، مع أنواع البلاغة وأصناف الأساليب العالمية، وخلاصات العلوم الكونية والمعارف الإلهية وأن النظام الإعجازي كامن في جمعه لهذه الأمور الكثيرة المختلفة، المتنوعة والمتباينة دون اختلال نظام أو اختلاط وتشوش.[43]

ويرى أن أصول الأخلاق في القرآن عالية فهو ينهى عن مساوئ الأخلاق.

والقرآن كتاب إنساني يرشد إلى الأخلاق الحسنة، والرسول (صلى الله عليه وسلم) مع القرآن الكريم مرشدان إلى الأخلاق[44].

ففي الفاتحة نتعلم الأخلاق في قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم"، كما أن أقصر الطرق المؤدية من مكان إلى آخر هي الطريق المستقيم، وأن أقصر الخطوط الممتدة بين نقطة وأخرى بعيدة عنها هو الخط المستقيم؛ كذلك أن أصوب طريق في المعنويات وفي الطرق المعنوية وفي المسالك القلبية وأكثرها استقامة هي أقصرها وأيسرها...وكذا فإن أيسر الطرق في الأخلاق الإنسانية وأنفعها وأقصرها وأسلمها هي في الصراط المستقيم وفي الاستقامة.[45]

ولمعرفة الفرق بين التربية الأخلاقية القرآنية، وتربية الفلسفة الأخلاقية يقارن بين تلميذيهما:

فتلميذ القرآن المخلص عبد عزيز لا يستذل لأعظم مخلوق، وهو متواضع لين هين لا يتذلل لغير الله، وهو فقير ضعيف لكنه مستغن عن كل شيئ بما ادخره الله له، وهو قوي لاستناده إلى قوة سيده، وهولا يعمل إلا لوجه الله، ولا يسعى إلا لرضاه بلوغاً إلى الفضائل.

والتلميذ المخلص للفلسفة فرعون لكنه ذليل يعبد أخس شيء لأجل منفعته، وهو متمرد وعنود، متمرد لكنه يرضى بمنتهى الذل للحصول على لذة، وعنود دنيء يخنع للأشخاص ويقبّل أقدامهم، ومغرور جبّار لكنه عاجز لعدم وجود من يستند إليه، وهو نفعي ومصلح، غاية همّته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج، وهو دساس مكّار يتحرّى مصلحته الشخصية.[46] وخلاصة ذلك يمكن عرضها في هذا المخطط:

صفات تلميذ القرآن	صفات تلميذ الفلسفة
1- عزيز	1- فرعون
2- متواضع هين لين	2- ذليل خسيس
3- فقير ضعيف	3- متمرد عنود
4- قوي متصل بالله	4- مغرور جبار
5- لا يعمل إلا لوجه الله	5- نفعي مصلحي

وواضح أن مفردات أخلاق تلميذ القرآن متصلة بالله عزّ وجلّ بخلاف أخلاق تلميذ الفلسفة تتصل بمصلحته الخاصة وشهواته ومنفعته.

وأعظم معجزة بعد القرآن للرسول (صلى الله عليه وسلم)، هو ذاته المباركة، أي ما اجتمع فيه، من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة، ثم أن الشريعة الغراء التي لم يأت ولن يأتي بمثلها هي معجزة أخرى عظيمة للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)[47].

وخلقه (صلى الله عليه وسلم) القرآن... ويتجلى ذلك في معاملته وسلوكه مع الناس، وأن شريعته الغراء تضم أكثر الخصال الحسنة، تشهد بذلك محاسن الأخلاق في دينه القويم[48].

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يشبهه بمصباح كبير عظيم في قصر فخم، وتشعبت منه قوة الكهرباء إلى مصابيح أصغر فأصغر موزعة في منازل صغيرة، فلو أطفئ المصباح الكبير فسيعم الظلام المنازل الأخرى وتستولي الوحشة فيها. ثم يخاطب نفسه منبهاً وموضحاً أن القصر الكبير هو المسلم، والمصباح الكبير هو الرسول في قلب ذلك المسلم، فإن نسيه وأخرج الإيمان به من قلبه، فسيحدث في قلبه دمار رهيب وتستولي عليه الوحشة.[49]

والرسول (صلى الله عليه وسلم) بالبداهة أكمل مرشد بالقرآن الكريم للجن والإنس، وهو كذلك أحسن من كشف بحقائق القرآن عن مغزى القصد.[50]

وهو الجامع لمكارم الأخلاق، اجتمع فيه من الخصال العالية كافة[51]، وأخلاقه (صلى الله عليه وسلم) في أسمى الدرجات، وصفاته في أعلى المراتب[52]، وهو(صلى الله عليه وسلم) مثال كمال الموجودات، وممثل لفضائل الأخلاق ومثاله المجسم والقدوة الحسنة لها[53].

وقد مدح الله تعالى رسوله بحسن الخلق فقال: "وإنك لعلى خلق عظيم"[54]،وجاء في وصفه عن أنس رضي الله عنه أنه "كان أحسن الناس أخلاقاً"[55]

وأبرز صفاته(صلى الله عليه وسلم) الشفقة والرحمة "نعم، لقد وردت روايات صحيحة تبين مدى رأفته الكاملة وشفقته التامة على أمته، بأنه صلى الله عليه وسلم يدعو يوم الحشر الأعظم بـــ: (أمّتي أمّتي) في الوقت الذي يدعو كلُ أحد، بل حتى الأنبياء عليهم السلام بـــ: نفسي نفسي من هول ذلك اليوم ورهبته... وكذا فإن سيرته العطرة كلها، وما نشره في الآفاق من مكارم الأخلاق المكللة بالشفقة والرحمة، تبين كمال رأفته وشفقته"[56]

وقد رفع الرسول(صلى الله عليه وسلم) أخلاق العرب بتربية الصحابة (رضي الله عنهم) وقلع الأخلاق الوحشية فيهم، يقول: " ألا ترى هذه الأقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الشاسعة، المتعصبين لعاداتهم، المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، كيف رفع هذا الشخص جميعَ أخلاقهم السيئة البدائية وقلعها في زمان قليل دفعة واحدة؟ وجهّزهم بأخلاق حسنة عالية؛ فصيّرهم معلمي العالم الإنساني وأساتيذ الأمم المتمدنة.

فانظر! ليست سلطنتُه على الظاهر فقط، بل هاهو يفتح القلوب والعقول؛ ويسخِّر الأرواح والنفوس، حتى صار محبوبَ القلوب ومعلّمَ العقول ومربي النفوس وسلطان الأرواح"[57].

ويوضح ما للصحبة النبوية من تأثير خارق ونور عظيم فيقول: "بينما أعرابي غليظ القلب يئد بنته بيده، إذا به يكسب خلال حضوره مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ومن صحبته ساعة من الزمان، رقة قلب وسعة صدر وشفافية روح ما يجعله يتحاشى قتل نملة صغيرة. أو آخر يجهل شرائع الحضارة وعلومها، يحضر مجلس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيصبح معلماً لأرقى الأمم المتحضرة - كالهند والصين - ويحكم بينهم بالقسطاس المستقيم، ويغدو لهم مثلاً أعلى وقدوة طيبة[58].

وقد نظر الصحابة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثال الأكمل والنموذج الأتم والتفوا حول رايته[59]،وهكذا فالحاجة للنبي ضرورية، يقول: " فملكة تعديل الأخلاق الموهومة لا تكفي للمحافظة على القوى الثلاثة في الحكمة والعفة والشجاعة، لذا فالإنسان بالضرورة محتاج إلى نبي يمسك بميزان العدالة الإلهية النافذة والمؤثرة في الوجدان والطبائع[60].

وقد بلغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تميزه أن" اتفق الأعداء والأولياء على أنه أعلى الناس قدراً وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسن وفضلاً"[61]. وهو يملك الأخلاق السامية في ذاته المباركة، ومن السجايا الرفيعة في مهمة رسالته، ومن الخصال الفاضلة فيما يبلّغه من شريعة ودين، ما يضطر إلى تصديقه ألدّ أعدائه فلا يجد سبيلاً للإنكار[62].

ويجري مقارنة بين عظماء الفلسفة فالغاية القصوى عندهم التشبه بالواجب، أي بالخالق جل وعلا، لكن الغاية القصوى في مسار النبوة التخلق بالأخلاق الإلهية بالتحلي بالسجايا والخصال التي يأمر بها الله سبحانه[63].

والرصيد الأخلاقي هو الذي يكسب أصحاب الديانات الأخرى إلى الإسلام، يقول: "ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام، وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً، بل ربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام[64].

ومن هذا المنظور وإذا أردنا أن نلخص أفكار بديع الزمان حول الجهاد في المرحلة الأولى لحياته، نستطيع القول أنه رغم مشاركته "بالجهاد المادي" ببطولة لا نظير لها، إلا أنه يرى أن الجهاد الأصلي والأساسي هي إحياء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والأخلاق الإسلامية إلى جانب الجهاد المتعلق بالعلم والترقي والحضارة ... لذلك كان القسم الأعظم من مجاهدة بديع الزمان، يتركز في بؤرة تدريس العلوم الدينية والمعاصرة معاً، والسعي لمزجها، وتتعلق بالتعليم والإصلاح التعليمي[65].

ملاحظة: اعتمدت في هذه الدراسة على القرآن الكريم، و الحديث النبوي في أصوله،ثم كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي المعد في قرص الحاسوب، وأبرز مصادر الكليات: الكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات وإشارات الإعجاز،ومن الملاحق ملحق قسطموني، وأمير داغ، وصيقل الإسلام، وبعض المصادر الواردة في القائمة المدرجة أدناه.

من المصادر والمراجع في موضوع الأخلاق الإسلامية

الأخلاق الإسلامية: عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط 4 دار القلم، دمشق سنة 1996م.

الأخلاق الحميدة العلاج الإسلامي لسوء الخلق: عبد الحميد كشك،ط مكتبة التراث الإسلامي، مصر. د.ت.

الأخلاق في الإسلام: د. محمد عبد القادر حاتم، ط الهيئة المصرية العامة 1995م.

بديع الزمان سعيد النورسي ومفهوم الجهاد في العصر الحديث: شكران واحدة، من بحوث المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي"تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي" 24-26 أيلول 1995م، استانبول.

تهذيب الأخلاق: عبد الحي فخر الدين الحسني، ط المكتبة العصرية، بيروت د.ت.
الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة: د. يوسف القرضاوي، ط 1 مكتبة وهبة، مصر سنة 1994م.
جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة: محمد العربي الخطابي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1993م.
خلق المسلم: محمد الغزالي، ط أخبار اليوم، مصر، د.ت.
دستور الأخلاق في القرآن: د. محمد عبد الله دراز، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط دار الرسالة، بيروت سنة 1998م.
المدخل إلى القيم الإسلامية : د. جابر قميحة، ط دار الكتب الإسلامية، القاهرة 1984م.
المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين: فتحي يكن، ط1 1998.
نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر سليمان الأشقر، ط 6 دار النفائس، عمان سنة 1997م.
النظام الأخلاقي في الإسلام: د. محمد عقلة، ط مكتبة الرسالة الحديثة الأردن، 1986م.
النظم الإسلامية: د. منير حميد البياتي، ط دار البشير عمان 1994م.
هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً: محمود محمد الخزندار، ط دار طيبة للنشر، الرياض 1996م.

---

1 المناهج التغييرية الإسلامية ص113 وما بعدها.

2 لعل من الأُمور المهمة والخدمات الجليلة إعداد قرص الحاسوب المتضمن لكليات رسائل النور باللغات الثلاث التركية والعربية والانجليزية، مع البحوث المقدمة في الندوات العلمية الثلاث السابقة وهي سنة 1992م و1995م و1998م في إستانبول وندوتي الأردن والمغرب 1997و1999. مع ما يقدمه القرص من الخدمات البحثية وجمع المعلومات التي أفدت منها كثيراً في اعداد هذا البحث، فجزى الله المعدّين لهذا القرص خير الجزاء.

3 الجامعات الإسلامية في وطننا العربي والإسلامي كثيرة، لكن القليل منها ما يحقق الطموح والآمال في مناهجها وبرامجها.

4 النظام الأخلاقي في الإسلام ص39–45. والفرق بين الإسلام والغرب أن الغرب فصل الأخلاق عن الدين، وهي تقوم على المصلحة والمنفعة، وفصل الأخلاق عن العلم وغاب عنه أن العلم بلا أخلاق يتجه نحو الشر.

5 الأخلاق الإسلامية ص 22.

6 الأدب المفرد ص81، وكنــز العمال 17/3.

7 مسند الإمام أحمد 381/2، الموطأ ص651.

8 رواه الترمذي وحسنه 78/5، ومسند الإمام أحمد250/2، 385/4، راجع فتح الباري 458/10.

9 مسند الإمام أحمد 135/3.
10 البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود 172/7، والترمذي وصححه، وفي رواية أخرى " خير ما أعطي الناس خلق حسن" مسند أحمد 4/ 278، و راجع فتح الباري 458/10.
11 البخاري في الأدب المفرد، والترمذي ، راجع فتح الباري 458/10.
12 الترمذي وحسنه 370/4، راجع جامع الأصول 6/4.
13 الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ص26.
14 المصدر السابق ص27. والحديث رواه مسلم رقم (1015)، والترمذي رقم (2989) وأحمد328/2.
15 العنكبوت آية45.
16 رواه الخمسة إلا مسلم راجع التاج61/2.
17 التوبة 103.
18 البقرة 197.
19 المكتوبات ص642.
20 نفسه ص643.
21 الكلمات، ص363.
22 أمير داغ ص 284، وأصل الحديث "خلق الله عز وجل آدم على صورته" أخرجه البخاري برقم 6227، ومسلم برقم 2841.
23 المكتوبات، ص393.
24 الملاحق ، ملحق قسطموني، ص 169.
25 نفسه.
26 راجع إشارات الإعجاز ص160.
27 نفسه ص 161
28 راجع دستور الأخلاق ص681.
29 صيقل الإسلام ص333 وراجع اللمعات ص303.
30 اللمعات ص 219.
31 صيقل الإسلام ص 333. وراجع في المعنى نفسه اللمعات ص 303.
32 الكلمات ص765.
33 إشارات الإعجاز ص 207.
34 راجع النظم الإسلامية ص 107-125، و نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص162-163.
35 الشعاعات ص 246.
36 الشعاعات ص 251.
37 الشعاعات ص 601 ، وراجع ص591.

38 ملحق قسطموني ص 136.
39 الشعاعات ص 337.
40 أمير داغ ص 286.
41 المكتوبات ص355 و ص604 وراجع الكلمات ص473.
42 الكلمات ص 363 –364.
43 راجع الكلمات ص 466.
44 راجع المكتوبات ص 434.
45 الشعاعات ص 649.
46 الكلمات ص 144.
47 راجع المكتوبات ص 236.
48 راجع المكتوبات ص 277.
49 راجع الكلمات، ص417.
50 راجع المكتوبات ص 277.
51 راجع الكلمات 741، وراجع إشارات الإعجاز ص 166.
52 راجع المكتوبات 276.
53 راجع المكتوبات ص 252. وراجع صيقل الإسلام ص 142.
54 القلم آية 4. وقد وردت آيات أخرى تذكر أخلاقه كالتوبة آية 128، وآل عمران آية 159.
55 رواه البخاري ومسلم.
56 اللمعات، ص29.
57 الكلمات، ص258، وراجع إشارات الإعجاز ص 170– 71، وراجع المثنوي العربي النوري ص 60.
58 الكلمات، ص574.
59 الكلمات ص 574.
60 صيقل الإسلام ص 139.
61 المكتوبات ص236.
62 المكتوبات ص 252.
63 راجع الكلمات ص 642.
64 صيقل الإسلام– الخطبة الشامية
65 بديع الزمان سعيد النورسي ومفهوم الجهاد ص 9.